

# ندوة إعادة كتابة التاريخ القومى

موجز أعدده

الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى

فى شهر نوفمبر ١٩٦٥ عقدت الجمعية المصرية للدراسات التاريخية أربع ندوات مفتوحة حول موضوع إعادة كتابة التاريخ القومى ، وهو الموضوع الذى كان قد أثار مناقشات على صفحات بعض الجرائد والمجلات ، وفى بعض الأندية الخاصة — ومن ثم فإنه كان يشكل تياراً حقيقياً حول قضية عامة .

وحين تبنت الجمعية المصرية للدراسات التاريخية هذه القضية وضعتها فى إطارها الصحيح — إذ فتحت لها الباب عن طريق المناقشات الحرة التى اشترك فيها كثير من المتخصصين كل من زاوية تخصصه العلمى ، وبذلك خرجت حصيلة المناقشات أقرب إلى الموضوعية العلمية .

حقاً لقد تكلم كثير من المتخصصين كل من زاوية تخصصه ، إلا أن المناقشات المفتوحة سرعان ما ولدت آراء أكثر اتساعاً فتحت المجال لكثير من الاقتراحات الجادة .

وقد انقسمت الندوات إلى أربع موضوعات رئيسية :

١ — التاريخ السياسى .

٢ — التاريخ الاقتصادى .

٣ — التاريخ الثقافى .

٤ — التاريخ الاجتماعى .

وفى ما يلى عرض لأهم الآراء والمقترحات التى أدلى بها التكمون .

## التاريخ السياسى

٢٩ نوفمبر ١٩٦٥

أحمد عبد الرحيم مصطفى

حسب وجهة نظرى ينقسم التاريخ السياسى إلى ثلاثة أقسام :

- ١ — التاريخ الدبلوماسى الذى يرتبط بالعلاقات الدولية .
  - ٢ — المنظمات السياسية كالأحزاب والبرلمانات وغير ذلك من الهيئات التمثيلية .
  - ٣ — التغييرات التى تطرأ على مقدرات الحكم : كالثورات والانقلابات ، والأدوات التى تنظمها كالدساتير ... إلى غير ذلك من أشكال صور الحكم السياسى .
- وإذا وضعنا هذه النقاط فى موضع الاعتبار نجد أن إعادة كتابة التاريخ القومى تستلزم ما يلى :

١ — الاهتمام — فيما يتعلق بالتاريخ الدبلوماسى — بالمراسلات الرسمية ، مصرية وغير مصرية . وهذا يتطلب حصر المطبوع من الكتب الصغرى الفرنسية (Les Livres Jaunes) التى صدرت بشأن مصر ، وكذلك الكتب الزرقاء الانجليزية (Blue Books) ، كما يتطلب الاهتمام بتصوير الهام من الوثائق الأصلية فى العواصم الكبرى التى كانت لها صلات بمصر : كلندن وباريس وفينا وبرلين وبطرسبورج واستنبول وغير ذلك .

ومن الممكن لوزارة الخارجية المصرية أن تساعد فى هذا المجال بتبويب وفهرسة ما قد يكون لديها من الوثائق ، وكذلك السفارات المصرية فى الخارج . ومجلس الوزراء المصرى بإمكانه أيضا أن يمد يد المساعدة ، إذا كانت لديه مضابط أو جداول أعمال — وغير ذلك .

٢ — أما فيما يتعلق بالمنظمات السياسية ، كالأحزاب والبرلمانات وغير ذلك من الهيئات السياسية ، فيجب الاطلاع على ما يوجد من جداول أعمال أو مضابط

الأحزاب وتاريخ الشخصيات الحزبية والصحف الحزبية وغير الحزبية ، ثم مضابط المجالس التمثيلية المصرية والمطبوعات البرلمانية وسجلات الهيئات .

وفيما يتعلق بتقليات الحكم ، هناك أيضاً المذكرات الخاصة والأوراق الرسمية والأهلية المختلفة .

لا بد من جمع ما هو موجود من هذه المواد قبل التصدى لإعادة النظر في كتابة تاريخنا القومى بوجه عام .

### محمد محمود المرومى

هل نحن بحاجة إلى إعادة كتابة تاريخنا القومى ؟ إن إعادة التقويم مستمرة في تاريخ الدول وأحرى أن تكون كذلك بالنسبة إلى مصر . ثم هل نبدأ تاريخ مصر الحديث من الفتح العثمانى أم منذ الحملة الفرنسية ؟ يجب أن نكتب تاريخ مصر منذ الفتح العثمانى لأنه فتح صفحة جديدة في تاريخ مصر تختلف عن الصفحة السابقة ، ثم هو في حد ذاته يعاصر بداية التاريخ الأوروبى الحديث . إننا لا نستطيع أن نفهم التطورات التى حدثت في مصر في القرن التاسع عشر مالم نعرف الأصول التى كانت موجودة في مصر قبل ذلك — وكتاب الجبرتى قد تعرض لأحوال مصر في العصر المملوكى . وربما كان من الصعب على المؤرخ أن يفي هذه الفترة حقها في حدود الإمكانيات المتاحة له : إذ أن جزءاً كبيراً من الوثائق المتعلقة به موجود في أرشيف القلعة ، وبعضه لم تمتد إليه يد إنسان ، ومعظمه مكتوب باللغة التركية وبخط القرمة الذى لا يمكن قراءته إلا بدراسة معينة .

ثم نسأل : كيف نكتب التاريخ ؟ هل طبقاً للموضوعات أم طبقاً للأحداث التاريخية ؟ أى طبقاً للتسلسل التاريخى ، لا بد من المزج بين الناحيتين ، مع العناية بدور الشعب المصرى .

### عبد المنعم عمر

إن بلدنا مليئة بالوثائق ، ولكنها مبعثرة ، لا يمكن أن نستغنى عن الوثائق والحجج القديمة الموجودة في وزارة الأوقاف وفي محكمة نور الظلام . استطنا بالاتفاق .

مع وزارة الأوقاف أن نجعلها تستمر منذ خمس سنوات في تصوير وثائقها ، والمجموعة أو شكت أن يتم تصويرها — وكذلك الحال بالنسبة إلى محكمة نور الظلام . هناك نوع من الوثائق لم يلق الاهتمام وهو القضايا السياسية التي هي جزء هام من تاريخنا القومي . أما فيما يتعلق بالكتب الزرقاء الإنجليزية ، ففي دار الكتب مجموعتان كاملتان ويوجد منها في مكتبة وزارة الخزانة مجموعة كاملة ، لأن المستشار الإنجليزي عنى بجمعها . وفيما يتعلق بالكتب الصفراء الفرنسية ، فكلية آداب القاهرة بها عجز بسيط يمكن استكمالها ودار الكتب مجموعتها غير كاملة . لا بد من حصر ما هو موجود منها بشي الوزارات والمكتبات وخلق مجموعة متكاملة .

### أصحح عزت عبد الكريم

المؤرخ وحده لا يستطيع أن ينتج إنتاجاً صحيحاً إلا بمعونة الوثائقيين ، والوثائقي لا يستطيع أن يمضي في عمله إلا بمعونة المؤرخ . وجامعاتنا حتى الآن قاصرة عن استخراج المؤرخ الوثائقي أو الوثائقي المؤرخ بصفة خاصة . وأخشى أن يكون الحديث حتى الآن قد اتجه إلى هذه الناحية فقط وتغاضى عن هدف آخر ، بل في رأيي أهم ، وهو كيف نكتب تاريخنا القومي ؟ هل نبدأ تاريخنا من الفتح العثماني أو من الحملة الفرنسية ؟ وربما ذهب آخرون إلى بدئه من وقت تولية محمد علي ، على اعتبار أنه بداية لإدخال تغييرات كثيرة وخطيرة في المجتمع المصري . هل ندرس تاريخنا على شكل موضوعات أم نربطه بدواعي التسلسل التاريخي ؟ لا بد أن نضع معايير جديدة لكتابة تاريخنا على أساس التطور في بناء المجتمع المصري ، وهو يختلف عن الحياة الاجتماعية وتاريخنا السياسي ما لم نربطه تماماً بتطور بناء مجتمعنا سيكون عبارة عن سرد أحداث دون أن يكون لها مغزى .

فمن يتصدى لكتابة التاريخ السياسي عليه أن يلم بتطور بناء المجتمع ونظمه الاقتصادية .

### مصطفى الساعاتي

أود أن يكون لتاريخنا القومي هو تاريخنا الشعبي . والسؤال الآن : من الذي يكتب هذا التاريخ ؟ أي جماعة أم هو عقل جبار مفكر ؟ — نحن نريد هذه العقول

التي تحلل الأحداث والأحوال الاجتماعية والبناء الاجتماعي . في التاريخ الحديث لا نستطيع الاستقراء بالشكل الذي يتوفر لنا بالنسبة إلى الحقب التاريخية الماضية — فلا نستطيع أن نستقرئ إلا من مسافات طويلة .

### صالح جهودت

يجب أن نقسم العمل إلى ٣ ألوان : ١ — العمل الأول هو العمل الموسوعي العلمي القائم على دراسة جماعية سليمة . ٢ — كتب مدرسية . ٣ — كتب شعبية مستنبطة عن الدراسة .

### صبرح عيسى

لو حددنا وجهة النظر التي من خلالها نرى التاريخ نحل مشكلة كتابة التاريخ . فنحن حين نعيد كتابة التاريخ القومي نقوم بذلك لأننا أصبحنا ببدأ اشتراكياً ، لأن هناك نظام اجتماعي جديد . هناك ثلاث مدارس تناولت تاريخ مصر الحديث منذ أوائل القرن العشرين : مدرسة أخذت بوجهة نظر الاستعمار . بعد ثورة ١٩١٩ نجد أن من الواضح أن ثمة عناصر مشتركة من حيث رؤية التاريخ على أنه دور الطبقات المختلفة ودور الفئات المختلفة ، وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت تظهر القوى الشعبية — ومن ثم بدأت تظهر مدرسة تاريخية ثالثة : حين نعيد كتابة التاريخ نريد أن نضع وجهة نظر جديدة — إذ أننا نمر بنظام اجتماعي جديد يستلزم تغييراً في النظرة إلى القيم والأخلاق والتاريخ والأدب والفن لا بد أن نفتح حواراً فكرياً مفتوحاً . يعطينا رؤية تاريخية جديدة من الممكن أن نقول إنها رؤية الجماهير الشعبية .

### فاروق القاضي

لم نحدد مفهوم التاريخ القومي : هل هو التاريخ الحديث أم هو تاريخنا القومي على الإطلاق ؟ إن تاريخنا القومي ليس تاريخنا الحديث فقط . إن الهدف من إعادة كتابة تاريخنا القومي — فيما أظن — هو تصحيح خطأ منهجي كان الغرض والهوى من ورائه . إعادة كتابة التاريخ هي إعادة نظرة في كتابة التاريخ من وجهة نظر

الجميع ، وتنقيته من الشوائب التي علقت به نتيجة للهوى الشخصى سواء من جانب الأشخاص أم من جانب الحكام . وإننى أنبه إلى أن التاريخ القديم والتاريخ الوسيط يحتويان على خطأ منهجى وعلى شبهات ألحقها بهما مؤرخون مغرضون . فلا بد من النظر إلى تاريخنا ككل - إذ كيف نستطيع أن نفصل واقعنا الحاضر عن ماضينا .

### سليمانه هزبن

يجب على الأمة أن تفهم تاريخها وتحاول أن تعيد كتابته وتفهمه على أيدي القادرين على أن يعطوه الصورة الواضحة الصادقة تماماً . فالمؤرخ يدرس وثائق تكون كاذبة في حدود معينة ، يسبغ عليها لون في اتجاه معين . ومن هنا صعوبة عمل المؤرخ وتاريخ مصر الحالى لا يمكن أن ينفصل عن تاريخ مصر الماضى . إن تاريخنا يعيش معنا . هناك باستمرار عنصر الحضارة . والتاريخ القومى لا بد أن يؤخذ من أوله إلى آخره . والتاريخ يصنعه رجال مهما كان دور الطبيعة والبيئة .

## التاريخ الاقتصادي

٦ ديسمبر ١٩٦٥

عبد الرزاق حسن

أساءل : لماذا نريد إعادة كتابة التاريخ ؟ وكيف نكتبه ؟ هناك مسائل كثيرة نشعر بأننا نقتدها عند فهمنا لأي مرحلة من مراحل التطور الحالي ، وهذا مما جعل المسألة بالنسبة إلينا غير واضحة تماماً . فمفهومنا العلمي الأ شىء يمكن أن ينبت تلقائياً — فأى شىء ينشأ نتيجة ظروف موضوعية وظروف عادية وعلاقات بين الشعوب بعضها وبعض . لا يوجد شىء بإمكانه أن يحرك التاريخ ، وإنما الأحداث والظروف والعلاقات المادية هى التى تقوم بهذا التحريك . هذه هى المشكلة التى واجهتنا ونحن ندرس التاريخ بالطريقة التى قيل إنها الطريقة التقليدية — وهى عبارة عن سرد لبعض أعمال فى عهد معينة وكان القاعون بها أشخاصاً معينين دون ربط هذه العلاقات بعضها ببعض . نحن لا نستطيع أن نستنتج الكثير مما كتب إلا إذا قرأنا كثيراً منه . والوثائق ليست هى التى تحدد المصادر للتاريخ ، إنما هى تمرض لنا بعض النقاط التى نستند إليها فى دراستنا — أى أنها تساعدنا على فهم الموضوع ، وليست هى وحدها التى تفهمنا الموضوع .

ثم نساءل : من أين نبدأ ، أو بمعنى آخر . ماذا نقصد بالتاريخ الحديث ؟ مصر العثمانية لا تختلف كثيراً عن العصر المملوكى السابق عليها . نحن نريد إعادة كتابة التاريخ لكى يكون باستطاعتنا أن نفسر حركة الحياة . . حركة هذا المجتمع . الدراسات التقليدية لا تقسم على أساس ملوك . . الخ ، وإنما تذكر لنا أن هناك — مثلاً — مرحلة إقطاع ومرحلة رأسمالية ومرحلة اشتراكية ، وقد ترجع إلى مراحل سابقة على الإقطاع . فإذا قلنا أننا اليوم فى مرحلة تحول اشتراكي فمعنى ذلك أن ما يمكننا تصويره أن تاريخنا الحديث يبدأ فى المرحلة التى بدأ فيها التكوين الرأسمالى للمجتمع ، ومعنى آخر تغيير مادمى فى علاقات الإنتاج أخذ يودى إلى ظهور أوضاع جديدة أوصلتنا إلى هذه المرحلة الجديدة التى نحن فيها .

متى نستطيع اعتبار مرحلة الرأسمالية تكونت عندنا؟ هل مرحلة الرأسمالية تبدأ بنشوء الملكية الخاصة أم أن الملكية الخاصة بعض مظاهرها؟ أو هل ننظر إلى الموضوع من ناحية نوع الإنتاج؟ - أو ما نسميه نحن الاقتصاديين، الإنتاج للسوق العالمي أو الإنتاج لكفاية حاجات المعيشة؟ لو أخذنا هذا في عين الاعتبار لوجدنا أن عصر محمد علي يعتبر الإنتاج للسوق. إذا كان الإنتاج الرأسمالي يعتمد على الأجور، فلنا أن نتساءل: متى بدأ نظام الأجور؟

من العيب تحديد تاريخ لبداية ونهاية مرحلة تاريخية لأن العملية متصلة.

### رباصه الشيخ

هناك نقطة لا بد أن توضع موضع الاهتمام في أي دراسة تاريخية.

(أولاً) المراحل التي مر بها الاقتصاد المصري في الماضي - مراحل الرأسمالية الأولى ومراحل الإقطاع السابقة عليها والمراحل الرأسمالية التالية إلى أن نصل إلى مرحلة التطبيق - أو التحول الاشتراكي. في رأي أن هذا الموضوع يجب أن ندرس جذوره في العصور الوسطى.

(ثانياً) علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج بطريقة علمية - وهذه لم توجه إليها دراسة كاملة وموضوعية في دراسات التاريخ بالقدر الكافي.

(ثالثاً) أرجو أن تتجه دراسة التاريخ نحو تفسير تطورنا من مرحلة إلى أخرى، وبالتالي تكون الدراسة تفسيرية تحاول توضيح العوامل التي أدت إلى التغيير مجرد حوادث التغيير نفسها.

### محمد أنيس

هل الدعوة إلى إعادة تقييم تاريخ مصر الحديث دعوة مفتعلة أم هي طبيعية؟ وهذه الدعوة بطبيعة الحال تحمل إتهاماً من ناحية ونقداً من ناحية أخرى لما سبق أن كتب في تاريخ مصر الحديث. ثم لنا أن نتساءل: ما هو الجديد في أذهاننا الذي يجعلنا نستطيع أن نقوم بتاريخ مصر الحديث تقويماً جديداً؟ الجديد تابع

في حقيقة الأمر من أن ثمة تغير يحدث في المجتمع المصري الراهن — وهذا التغير يشمل جهات متعددة : سياسية واقتصادية وفكرية . هذه النظرة المتقدمة أو الثورية ليست قاصرة على التغير في الوقت الحاضر وبناء مستقبل ، ولكنها بالضرورة وحتمًا كذلك لا بد أن تنسحب على النظرة إلى الماضي إلى تراث الأمة — أي أن الموقف الجديد لا بد أن يطرح قضية مضر من الزاوية القومية . . هل كتب من الناحية العالمية ؟ إن ما كتب يكاد يقتصر على تاريخ الدولة في مصر لا تاريخ الشعب في مصر . ونحن نحدث عن الشعب المصري في تاريخه الحديث وإنما أقصد القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين . فهو التاريخ الذي تمت فيه كافة التحولات التي أشار إليها الدكتور عبد الرزاق حسن والدكتور رياض الشيخ : التحول من الإقطاع إلى الرأسمالية ثم أخيراً التحول إلى الاشتراكية . عملية التحول هذه تم نتيجة تفاعل قوى المجتمع — نتيجة التناقضات الموجودة في هذا المجتمع . الاستفادة في تحول الطبقات الاجتماعية . أين تاريخ الحركة الوطنية ؟ في مؤلفات الراحل لا نحس على الإطلاق بوجود علاقات إنتاج ولا قوى إنتاج . فتاريخ الشعب المصري كقوى الاجتماعية لم يكتب . ما كتب تنقصه الخلفية الاجتماعية أو ما يسمونه أحياناً بالخلفية المادية التي تعطي الحركة السياسية مفهومها .

### محمدي عيسى

التاريخ السياسي تاريخ الارستقراطي ، بمعنى أنه تاريخ الحكومات . أما التاريخ الاقتصادي فهو تاريخ الرجل العادي : تاريخ الفلاح أو العامل أو صاحب رأس المال . ومنذ ظهور التاريخ الاقتصادي في أواسط القرن التاسع عشر تغير مفهوم التاريخ السياسي الذي لا بد أن يقترن بدراسة اقتصادية . هناك تاريخ محمد علي وإسماعيل ، وهناك صمت شامل عن تاريخ الشعب . أين العامل ؟ أين الفلاح ؟ ودراسة مجهود الأفراد ناقصة في تاريخنا الاقتصادي الحديث . واهتمامنا بالتاريخ الاقتصادي لا يعني أن الحرك لتاريخ هو المادة . إنما الاقتصاد أحد العوامل التي تحرك التطور التاريخي . والذي أريد أن أقوله إن السياسة قد تؤثر على الاقتصاد ، كما قد يتأثر الاقتصاد بالسياسة . كما أن الاقتصاد قد يتأثر بعوامل أخرى عديدة يجب أن ندرسها جميعاً فتكتمل صورة تاريخنا الحديث .

## راشد البراوى

الذى أستطيع أن أفهمه الآن مما جرى من نقاش ومن إبداء آراء وملاحظات هو أن المراد أن يفسر التاريخ المصرى تفسيراً اقتصادياً ، وبعبارة أخرى تفسيراً مادياً . وليس معنى هذا أننا نغفل أثر النواحي الفكرية أو الدينية أو السياسية . ويجب أن يراعى فى تفسير دور الشعب ليس الشعب فى مجموعه وإنما دور الطبقات الجديدة التى تظهر من مرحلة إلى أخرى لها مصالح ولها حاجات ولها أهداف ثم يجب أن نحدد معنى كلمة «إقطاع» — هل هو نظام كالذى كان سائداً فى أوروبا فى أوائل المصور الوسطى ؟

## أصبح عبدالو

يفرق بين علم الاقتصاد وبين التاريخ الاقتصادى الذى يدرس المشكلة الموجودة ويردها إلى أصولها التاريخية . فعندما نكتب التاريخ الاقتصادى لا نكتب الاقتصاد البحت . بل لابد من أن نحترم منهج التاريخ وكتابه أولاً ثم نعطيه الصورة التى نريد رسمها ضمن هذا الإطار .

## أحمد عزت عبد الكريم

الآن نتساءل : كيف نكون المؤرخ الاقتصادى ؟ بعض المؤرخين الاقتصاديين دخلوا هذا الميدان من باب التاريخ ، وبعضهم دخلوه من باب الاقتصاد — ولكل من المدخلين فائدته ، ولكن له أيضاً نتائجه . فالذى دخل هذا الميدان من باب التاريخ قديلب عليه التاريخ السياسى ، وإن أضاف إليه لوناً اقتصادياً ، والذى يدخله من باب الاقتصاد تكاد تقرأ فيه اقتصاداً لا تاريخاً وإن كان يلونه بلون تاريخى — وهكذا . ناحية أخرى هى ناحية الإقطاع وغيره . أخشى أن التعبيرات الاقتصادية التى يحترفها إخواننا الاقتصاديون ويبهرون بها أنظارنا وأبصارنا ، أخشى أن تظفى على تفكيرنا حتى من كثرة ترددها أننا نؤمن بها وأنها كانت موجودة عندنا . فالنظام الإقطاعى ليس نظاماً اقتصادياً فقط ، وإنما هو أيضاً نظام علاقات اجتماعية بين فلاح وبين مالك الأرض وبين الفلاح والدولة — ثم هو نظام فكرى — وقد يزول النظام وتبقى آثاره الفكرية كما حدث فى المجتمع الأوروبى وكما هو حادث حتى اليوم فى مجتمعنا

الذى نعيش فيه . الإقطاع المصرى سواء فى العصور الوسطى أو فى العصر العثماني أو فى القرن التاسع عشر ، يختلف تماماً عن الإقطاع الأوروبي — بل العكس لو تعمقنا فى دراسة ناحية الزراعة والأرض فى العصر العثماني لوصلنا إلى نظام يقرب من النظام الاشتراكي على اعتبار أن الملكية الفردية لم تكن موجودة فى ذلك الوقت فى مصر ، وأن أهل القرية كانوا يزرعون الأرض كلها ويتكسبون منها ويأخذ كل بقدر جهده وبقدر العمل الذى بذله فى هذه الأرض . ملكيات القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين هل هى إقطاع بالمعنى الذى قرأناه فى الكتب التى تحدثت عن هذا النظام فى أوروبا ؟ إننى بذلك أعطى مثلاً إلى أننا لا نريد أن ننساق وراء تعبيرات حديثة ومفاهيم حديثة ونحاول جاهدين بشيء من العنف أن نطبقها على تاريخنا . لو فعلنا هذا أخشى أن يلتوى بنا القصد ولا نستطيع أن نكتب تاريخنا القومى كما حدث فعلاً .

### محمد أنيس

اعتقادی الشخصى أن هناك إقطاع فى مصر وإن اختلف فى بعض السمات عن الإقطاع الأوروبي : علاقة الفلاح بالإقطاعى أو السيد علاقة تبعية إقطاعية ، وهذه تشترك فيها أوروبا مع مصر — هذا مع الفارق فى شكل الإقطاع بين أوروبا ومصر . اتفق على ضرورة تحديد المفاهيم . ماذا نقصد بالإقطاع ، وما سماته ؟ وكذلك بالنسبة إلى الرأسمالية وغيرها من القضايا .

### أحمد عبد الرحيم مصطفى

حين أقول إن شيئاً معيناً قد حدث فى بلد أوروبى معين يكون هذا الشيء مصحوباً بتطور معين . بعد هذا حين أعرض لهذا الشيء أجده يعطى فكرة سابقة عن مفهومه فى بلد آخر . أريد أن نتجرد عن المفهوم للشابه ، ثم نأخذ المفهوم الأصيل مجرداً ، ثم نبحث فى المادة التاريخية التى هى تعطينا التفسير لا التفسير هو الذى يجمع لنا المادة . ننظر إلى المجتمع ككل و نأخذ بنظرة واحدة على أساس قوانين ثابتة بحيث يبرز التفاعل بين شتى العوامل . قبل ذلك كنا تقتصر على البنیان الفوقى للمجتمع بمعنى الحكام الذين كانوا يصنعون التاريخ فى مصر فترات طويلة ، على حين كان

الشعب سلبياً لضغوط واقعة عليه أو لفاهيم سائدة أو بسبب الجهل . ثم هل أدت مختلف الضغوط إلى تغيير المجتمع أم لا ؟ كل هذا لا يتم إلا على أساس الدراسات الدقيقة المتخصصة التفصيلية . وبدلاً من أن تكون التعميمات طليقة تقوم المادة التاريخية بإثرائها وتكشف لنا الأوضاع التي صاحبت تطور مصر في القرن للتاسع عشر وفي النصف الأول من القرن العشرين .

محمد أنيس

لو فهمنا مصطلحات كالإقطاع قبل جمع المادة يكون لذلك فائدته من حيث تعيم المادة . نحن بحاجة إلى تعريف وتحديد هذه المصطلحات

## التاريخ الثقافي

١٣ ديسمبر ١٩٦٥

سرير الفهاوى

إننا نحس في الفترة التي لم تكن فيها مستقلين لا سياسياً ولا اجتماعياً ولا اقتصادياً خضعنا لعوامل لعبت دورها في حياتنا الثقافية ، والتاريخ جزء من هذه الحياة الثقافية ، وهذه العوامل للأسف فعلت كثيراً جداً من الأفاعيل في هذا التاريخ . فنحن نجد كثيراً جداً مما نسميه استغلالاً لبعض الحقائق الصغيرة وتكبيرها وتضمينها لكي تؤدي إلى أغراض سياسية أو أغراض اقتصادية مرغوب فيها ، ثم نجد من ناحية أخرى ، أو من الناحية السلبية ، أن مواضع كثيرة من تاريخنا قد أهملت إهمالاً تاماً إما عن قصد وإما عن عدم عناية بها . تصحيح الوضع في هذه الناحية شيء أسهل نسبياً من تصحيح الوضع في الناحية الثقافية . ذلك أن أحداث التاريخ ليس من السهل أن تزيف التزييف الكامل وليس من السهل أن تهمل لأنها محفوظة مكتوبة أو مروية . أما بالنسبة للناحية الثقافية أو الناحية الفكرية فالسألة في نظري خطيرة جداً . ذلك أننا نجر في تيار من هذه التيارات التي تصدبها إما — كما قلت — التزييف أو الاستغلال أو الإهمال دون أن ندري أننا منجرفون في هذا التيار ، دون أن نحس أن النتيجة التي نقتاد إليها وخيمة . من السهل جداً أن نعود إلى التاريخ لنصحح الأوضاع . أما بالنسبة إلى الحضارة العربية فنحن لا نجد كتاباً عربياً أصيلاً مكتوباً يورخ للحضارة الإسلامية من وجهة نظر غير متعيزة أو متحيزة لناحية القوم الذين أنتجوا هذه الحضارة . وهذا يدل على أن عمدة جوة كبيرة جداً في حياتنا الثقافية لم تعلق بعد لأننا صرفنا لسبب أو لآخر لكي ننظر بمنتهى التقدير إلى حضارة أخرى ولا نفي بحضارتنا نحن إلا قلة من العلماء يعتبرون شاذين في بينهم . فهذا بالطبع يحتاج إلى كثير من الجهود لكي نصل إلى استدراك هذا الإهمال الذي حدث من قبل .

من ناحية تاريخ الفكر أو التاريخ الفنى نجد أن كتابة مثل هذا التاريخ في الواقع أصعب نوعاً من كتابة تاريخ الأحداث . تاريخ الأحداث له شيء من العرف .

والمفروض أن المؤرخ يحتاج إلى جمع المعلومات ثم إلى تركيبها بحيث تصبح كأنها حياً بمنطقها إذا شئنا ، ثم بعد ذلك ليس من شأنه أن يتدخل فيما وراء ذلك من دوافع نفسية أو دوافع فكرية — إلى غير ذلك . لكي نؤرخ للفن لا بد أن نؤرخ للحياة الثقافية — يعنى نؤرخ للتاريخ والجغرافيا والفلسفة والحياة الاجتماعية والعلوم والحياة الاقتصادية — لأن كل ذلك يتدخل في نسيج تكوين الفنان الذى يبدع شيئاً من كل هذا فإما أو يسمى شيئاً جديداً بالنسبة لكل هذا .

كوننا نزل الأدب أو نزل الفن ونؤرخه كما كان يفعل القدماء مسألة أدت كثير جداً من النتائج السيئة بالنسبة للأدب العربى بالذات . كان لا بد من

١ . نفا المجتمع والشخصية الأدبية والشخصية الفنية .

ثم مرت على الأمة العربية بالذات عوامل جعلت لها نوعاً من الازدواج أو الانفصام بين فنها : ما يسمى الفن الرسمى والفن الشعبى . ونحن لم نكتب تاريخنا الفنى أو الأدبى بعد كتابة تجعل الحاضر يتصل بالماضى ويتطلع إلى المستقبل — كمثل كتابة تاريخية فى أى موضوع من الموضوعات . هذه الفجوة بين الماضى والحاضر هى التى تسربت منها الدراسات والمذاهب والأنماط الغربية .

للروائع الشعبية وظيفتان : فهى تؤرخ وجدان الشعب فى الفترة التى لم يستطع فيها أن يعبر التعبير الرسمى ، ثم هى منابع للوحى يستوحىها وجدان الشعب .

كذلك من الخطر أن تتجه إلى تاريخنا الثقافى ونحاول أن نأخذ من الغرب فى هذه الطريقة أو فى هذه المعاملة نوع من أنواع القواعد أو نوع من أنواع الدليل ونطبقه تطبيقاً تاماً على حياتنا . فمن الخطأ أخذ القواعد التى يؤرخ بها الغرب ثقافته .

وكتابة تاريخنا الثقافى فى الواقع تحتاج إلى جهود جماعية — كل عصر من عصور هذا التاريخ لا بد له من متخصصين ولا بد أن يكون بينهم نوع من الروابط ونوع من الاكتفاء الفكرى . يضاف إلى هذا أننى لا أستطيع أن أدرس الأدب وحده فى فضاء — أننى أطلب بأن ندرس الأدب ضمن الثقافة بوجه عام .

والثقافة تدخل فيها التاريخ والجغرافيا والاقتصاد ، ومن باب أولى أن تدخل

فيها الفنون الأخرى التي لا يمكن أن يفصل عنها الأدب . لا يمكن أن نفهم شعر بلد دون أن ندرس موسيقاها — فالعرب القدامى حين دونوا شعرهم دونوه على أساس الأغاني .

### عبد الرسمى زكى

الواقع أن التزييف التاريخى قديم . وعبارة إعادة كتابة التاريخ تثير بعض السخط . أحياناً يظن البعض أن التاريخ ستعاد كتابته من جديد . الواقع أن تفسير هذه العبارة واضح — فالمؤرخون الذين كتبوا التاريخ فى القرن التاسع أو العاشر قد كتبوه بروح العصر الذى عاشوه . والمؤرخون المحدثون من يكتبون تاريخ المصور الفاتية لا شك سيكتبون بروح اليوم . هناك أفكار جديدة دخلت على المجتمع ، وتطورت كتابة التاريخ وأساليبه وتعددت مناهجه . ولهذا اقترح تكوين لجان التخصصين لبحث أو دراسة ما طرأ على الموسيقى مثلاً فى القرن التاسع وهل تأثرت بالموسيقى التركية مثلاً خلال القرون من السادس عشر إلى الثانى عشر . هناك أيضاً ما طرأ على الملابس — وهذا الميدان يكاد يكون ضحلاً جداً وكذلك الأغاني والعادات ... وهناك موضوعات كثيرة لم يكتب عنها شيء قط بطريقة علمية موضوعية فى تاريخنا الثقافى .

### محمود النحاس

تكلمت الدكتور سهير عن وحدة الفنون وكتابة تاريخ الثقافة كوحدة متماسكة ومتماثلة يؤثر بعض أجزائها على البعض الآخر . ثم عرضت عرضاً خفيفاً لدخول بعض المدارس الدخيلة علينا كالتكعيبية والتأثيرية — وما إلى ذلك من المدارس الغربية . الواقع إننا من الأمم القليلة التى استوحت فنونها من مصادر مختلفة : الفراعنة العرب ، أوروبا . واللغة العربية مرت بمصور الضمحلل منذ سقوط الدولة العباسية ، فأراد المجددون المحدثون أن يعودوا إلى النبع الأول الصافى فأصبحوا يتمسكون بالأساليب الكلاسيكية الأولية .

وعن قصد جعلنا فنوننا تنبع من منابع أخرى ومصادر دخيلة علينا ، لأننا لم تكن لدينا لامدرسة للتصوير ولا مدرسة للنحت . فتابعنا أساتدتنا الأوروبيين فى مدارسهم

التي سادت في بلادهم وكانت لها علاقة بكل تطورات مجتمعاتهم . فعلى حين أخذنا الفنون التشكيلية من نبع بعيد أخذنا أدبنا من نبع قومي خالص . أما الموسيقى فكانت معدومة لدينا . موسيقانا ليست عربية أو فرعونية ، بل فارسية اجاءتنا عن طريق استانبول ... الخ .

### سهر الفهاوى

لا أستطيع أن أفهم تاريخنا يكتب من غير دراسة الحوافز والدوافع التي أدت إلى إحدائه . فلا يستطيع أحد — مثلاً — أن يدرس ثورة عرابي دون أن يدرس عبد الله النديم المحرك الفكري لهذه الثورة .

### فاروق القاضى

الحق أن الحديث في موضوع الثقافة ذو شجون كما يقولون . فالخلافات بين النقاد وأصحاب المذاهب كثيرة ، وهذا من الممكن أن يفرقنا في كثير من التفاصيل التي تصرفنا عن السؤال الأساسى ، وهو كيف نكتب تاريخنا الثقافى ؟ إن ما حدث من خطأ بهذا الصدد ليس ناتجاً عن تزييف أو إهمال ، وإنما هو ناتج عن خطأ منهجى — فما زلنا ندرس الأدب بطريقة مدرسية كالتى اتبعها أسلافنا القدامى . يتقصنا إدخال العامل النفسى — مثلاً — فى حياة الشاعر أو الأديب ، وهذا مرتبط بعامل البيئة التى أنتجت الأديب .

### سهر الفهاوى

العامل النفسى جديد ولا يصدق على العباقرة الذين يخاصمون عصرهم — المبقرى هو الذى يريد من عصره تغييراً جذرياً . الفنانون عادة هم الطلائع التى تؤدى إلى التغيير .

### محمد اسماعيل هبى الرازق

فى حديثنا عن المصادر والوثائق أهملنا الرواية الشفهية — شاهد العيان .

### محمد أنيس

الفرد مهما كان ليس معزولاً عن عصره وإنما هو نتاج الظروف الاجتماعية ،  
الظروف المادية والسياسية التي تحيط به .

أحمد عزت عبد الكريم

قد يسبق الإنسان عصره .

### محمد أنيس

أنا أقول يسبق عصره بمعنى أن ما يثله من اتجاه فكري موجود في عصره .  
ولكن على شكل تيار خفي مستمر مقيض له أن يكبر إلا إذا أجهض .

أحمد عزت عبد الكريم

لا توجد بداية من عدم .

### سهر القلماوي

مسألة التاريخ شيء ومسألة الأدب شيء . الفنان بالنسبة إلى عصره يريد الأفضل  
فيسخطه ما هو واقع . الفنان وهو يخلق مؤمن بأنه يخلق لأنه يوجد شيئاً جديداً .  
ما لم يؤمن بهذا لا ينتج فناً ، هو منغمس في مجتمعه أشد الانغماس ولكنه غير راض  
إذ لو رضى لا ينتج فناً ، بل يكتب كتاباً علمياً . لا بد أن يكون ثمة نوع من عدم  
الرضى .

أحمد عزت عبد الكريم

كيف ندخل تاريخنا الثقافي في تاريخنا القومي ؟ مؤرخ التاريخ العام لا يجب أن  
يهم فقط بالأحداث السياسية أو الاقتصادية أو غيرها . وإنما ينبغي أيضاً أن يتجه إلى  
التطور الفكري الذي حدث في الأمة في العصر الذي يؤرخ له ، وكيف أن هذا التطور  
الفكري كان إما لتطور سياسي وإما كان باعثاً على تطور سياسي . الناحية الأخرى

في دراسة تاريخنا الثقافي القومي أن نكتب تاريخنا الفكرى العام . ولا أعتقد أن هناك محاولة قد بذلت حتى اليوم لكتابة تاريخنا الفكرى الحديث . وقد تساءل من تساءل عن النهج الذى سنسير عليه وما هو التقسيم . هل هناك خطوط تكون مراحل يمكن أن نجعلها محطات أو معالم طريق فى تاريخنا الفكرى ، فى القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر مرت مصر بمرحلة لا أقول ضعف أو ركود كما هو شائع ، وإنما يمكن أن أقول إن المصريين فكرياً عاشوا فى هذه الفترة على نتاجهم وحده — لم يتصلوا بنتاج غيرهم من الأمم وإنما عاشوا على ما ينتجونه من علم وأدب وشعر .. الخ ثم تأتى بعد هذا مرحلة الاتصال بالغرب وهى الأخرى من الممكن أن تنقسم إلى مراحل : مرحلة الاضطراب الفكرى نتيجة لاهتزاز المفاهيم التى عاشوا عليها مدة طويلة وغزوا مفاهيم جديدة لهم . ويمكن أن نقول . تأتى بعد هذا مرحلة الثورة الفكرية الرومانسية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين عصر الثورة الفكرية التى واكبت الثورة السياسية . ثم تلو ذلك الواقعية فى الأدب والفن .

إلى جانب هذا لابد أن نكتب تاريخنا القومى الثقافى متفرقاً — أى لابد لمؤرخ الأدب أن يكتب الأدب المصرى الحديث ، ومؤرخ الموسيقى أن يكتب الموسيقى المصرية ومؤرخ القصة والمسرح والصحافة والتعليم ... الخ .

## التاريخ الاجتماعى

٢١ ديسمبر ١٩٦٥

### حسن الساعانى

حين نتحدث عن تاريخنا القومى الاجتماعى إنما نطرق ميداناً يمتاز بالسهولة والصعوبة . يمتاز بالسهولة لأنه يتناول الحياة الاجتماعية الجارية فى مختلف العصور . كذلك هو صعب لأنه ليس من السهل أن نتناول بالدراسة العلمية المنهجية تلك الحياة الجارية التى نعيشها يوماً بعد يوم — كما يقولون أن لكتابة التاريخ تاريخ . ورأيت أن أتناول موضوعاً لم يتناوله أحد فى الندوات السابقة وهو : من يكتب تاريخنا ومى ؟ إننى أتناول ك من ثلاثة نواحي :

أولاً — المجال الجغرافى : قيل اننا حينما نكتب تاريخنا القومى من المستحسن أن نكتب أيضاً عن الدول العربية ولا نقصر الحديث على المجتمع العربى المصرى . ولكنى أرى أن تكون كتابتنا لتاريخنا القومى محصورة فى نطاق الجمهورية العربية المتحدة وترك المجتمعات الأخرى لأبنائها .

ثانياً — المجال البشرى : تناول جميع قطاعات الشعب .

ثالثاً — المجال الزمنى : أميل إلى كتابة تاريخنا القومى الحديث ابتداء من نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر . لأننى أرى أن الحملة الفرنسية هى معلم من معالم تاريخنا القومى ليس فقط نضالاً وجهاداً ، وإنما هى أيضاً تمتاز بأنها متلازمة مع نهاية قرن وبداية قرن حدثت فيه هزة ملموسة فى مجتمعنا . ثم يلى ذلك أن يكون وصفاً للحياة الاجتماعية فى شكل مسح شامل يتناول الميادين الآتية : الأسرة وما يرتبط بها من عادات وتقاليد وقيم تتبلور حول مراحل تكوينها . ثم نتناول بعد ذلك النشاط الاقتصادى : الإنتاج والعمل والتجمعات العمالية فى شكل نقابات أو اتحادات والأجور والسلع والأسعار وكل ما يتعلق بذلك مما يؤثر — أو كان يؤثر — فى حياتنا الاجتماعية . ثم بعد ذلك الثقافة والتعليم ثم الترويج والنشاط الدينى ثم الصحة ثم

الأمان الاجتماعى ثم الأمن العام . ثم لابد أيضاً أن تكون لدينا صورة واضحة لتوزيع السكان فى أنحاء الجمهورية سكان الريف وسكان الحضر وأن تكون صورة واضحة عن طريق الدراسة الواقعية المتعمقة عن الحياة كما كانت تجرى فى القرى والمراكز والبنادر والمدن .

الآن : من يكتب تاريخنا القومى ؟ الذين يستطيعون ذلك لا يستطيعون تماماً لعدم تفرغهم ، أما الذين لديهم المعرفة والذين نالوا قسطاً منها يمكنهم من أن يكتبوا لا يكتبون إلا تحت إشراف هؤلاء الأساتذة . لابد من الكتابة على طريقة الأستاذ ومساعدته . نريد أن نسجل الحياة والأحداث لنرى كيف كنا وكيف أصبحنا . إننا الآن نسير فى تنمية اجتماعية واقتصادية سريعة لها أصولها وتسير فى مراحلها ولا بد أن نعرف تاريخنا القومى الاجتماعى الحديث لكي نفهم ليس فقط منابع أفكارنا بل أيضاً قيمنا . المقارنة تعطينا ثقة بالنفس لأننا فعلاً حققنا تقدماً كبيراً .

وهناك موضوع بالغ الأهمية هو الخصائص القومية لأى شعب من الشعوب . كيف اكتسبنا صفاتنا أو خصائصنا القومية . نريد أن نتمسك ببعضها ونتخلص من بعضها الآخر لكي نحقق التنمية السريعة فى إنتاجنا ولكي نحقق مجتمع الرقابة . وأخيراً فإذا كنا قد درسنا تاريخنا القومى الاجتماعى دراسة منهجية سليمة فليس من المستبعد على الباحثين أن يخرجوا من هذه الدراسة بنظرية اجتماعية أو بنظريات اجتماعية يمكن أن تكون عربية مصرية سليمة .

حكمت أبو زيد

إذا كان الدكتور الساعاتى ينظر إلى كتاب التاريخ القومى الاجتماعى من وجهة نظر عالم علم الاجتماع فأنا أريد أن أدمج الناحيتين : عالم علم التاريخ وعالم علم الاجتماع . لابد أن نبدأ بتعريف لمدلول كلمة تاريخ ثم ما هو التاريخ الاجتماعى ؟ ثم ما هى الوظائف القومية للتاريخ ؟ ومتى ظهرت هذه الوظيفة القومية للتاريخ ؟ وما هى المجالات الاجتماعية التى يجب أن ندرسها فى هذه الحقبة من تاريخنا ؟

الواقع أن تتابع الحوادث الزمنية فى شكل مطرد من التغييرات يعنى وجود علامة زمنية ، بمعنى أن الزمن هو الركن الأساسى فى التاريخ الاجتماعى أو السياسى ،

أو الاقتصادي أو التاريخي فنون .. الخ . فهذا يعطينا فكرة العلاقة السببية — علاقة السبب والنتيجة ، وبذلك نجد عندنا حركة التطور الحضاري المختلفة . وما التاريخ الاجتماعي إلا تفسير لتطور المدنية والحضارة ، ومن هنا لا بد من أن نبدأ بقدماء المصريين . ومهمة المؤرخ استخدام النقد الموضوعي والنقد الذاتي بالاستمئانة بالنظريات المختلفة التي نستمدّها من علم الاجتماع . ونسوق هذه التفسيرات متى تظهر الحقائق مرتبطة بعضها ببعض وتظهر كسلسلة متصلة الحلقات وإلا تعتبر حقائق منفصلة بعضها عن بعض .

لا بد أن أفرق بين التاريخ وعلم الاجتماع . يتفق المؤرخ مع عالم الاجتماع في استبعاد فكرة العناية الإلهية — فكرة المعجزات التي كانت سائدة في العصور الوسطى . فعلم الاجتماع يتناول سلوك الأفراد في ظواهرهم الاجتماعية المختلفة ومشكلاتهم المعاصرة ، كما يتناولها تناولاً موضوعياً إحصائياً . وقد حاول التاريخ الاستفادة من قوانين وقواعد علم الاجتماع في تفسيره للأحداث التاريخية ، ولكن ثمة فارق بين التاريخ وعلم الاجتماع — فعلم الاجتماع يحاول الوصول إلى قوانين عامة يستخدمها لتفسير حاضر الإنسان ومستقبله ، أي يتنبأ بما سيحدث . ونحن لا نؤمن بأن التاريخ يعيد نفسه لأن الظروف تختلف اختلافاً كبيراً ، ولكل ظرف ولكل عصر صورته الجديدة . أما التاريخ فيحاول تلمس أسباب الحوادث في عملية التطور التاريخي للمدنية ، بمعنى أنه يصر على الاحتفاظ بالإطار الزمني الذي يعتبر أيضاً إطاراً للتاريخ السياسي . كما أن التاريخ يصر على الاحتفاظ بالدور الذي تلعبه الشخصيات التاريخية في بناء المجتمعات والحضارات المختلفة ، وبهذا يحتفظ التاريخ بعالمه وبصفته الواقعية التي تسمى « الآكتواليته » أو الصفة الحالية المميزة له .

فتفسير علم الاجتماع لعملية الحضارة المتطورة يعتمد أساساً على نظرية التطور من الزاوية التي تسلط الضوء على الدور الذي يلعبه الفرد في الحياة ، كما يهتم بتحديد أثر القوى الطبيعية على تطور حياة الإنسان في الماضي والحاضر . لا بد للمؤرخ إذن من الاحتفاظ بمستويات العصر وهنا يختلف المؤرخ عن عالم الاجتماع في حكمه على التطورات — فهو يربطها زمنياً ومكانياً بالوقائع أو الأحداث التاريخية . ولا يمكن أن نختلف في أن ثمة بطولات ، ولست أريد تأكيده نظرية الرجل

العظيم ، إنما الذي لا ينكر أن هناك أفراداً غيروا مجرى التاريخ فأدخلوا نظاماً اجتماعية جديدة وأعطوا سلوكية مختلفة وتشريعات اجتماعية ودستورية. أما عن الحتمية الجغرافية فهي كما قلت من العالم المهمة في التاريخ الاجتماعي ، ولكن ليس لنا أن نخضع للحتمية الجغرافية لأن إرادة الشعب هنا هي المتحركة .

### محمد مصطفى زيادة

التاريخ ليس مواعظ ، وإنما هو خبرة وتجربة ويقظة هي التي يجمعها اليوم : التوعية : توعية الفرد فيما يختص بماضيه وحاضره ومستقبله .

### ابراهيم أبوب

الكتابة في تاريخ العالم العربي تتطلب تضافراً أو مسئولية جماعية من كل الدول العربية للبدء في هذا المشروع الضخم . كيف يمكن أن نحدد طريقنا في هذا الخضم الواسع ؟ عنوان الندوة : كيف نكتب تاريخنا القومي للمصري : الفلاحون ، العمال ، المثقفون ، الرأسمالية الوطنية . أريد أن نأخذ كل قطاع على حدة عند الدراسة .

### صفي رياصره

ما الخط الذي يفصل بين التاريخ عن الأدب ؟

### محمد مصطفى زيادة

الخط بين الأديب والمؤرخ ، على دفته ، مفهوم . الأديب يكتب ألفاظاً حلوة معسولة ، فيضحى بالحقيقة من أجل الأسلوب والعكس : في التاريخ يضحى بالأسلوب من أجل الحقيقة .

### حمود عوده

أحب أن أثير نقطتين هامتين : مشكلة التزييف التاريخي ، ومشكلة التنظير في التاريخ أو صياغة نظريات عامة عن تاريخ المجتمع . أما المشكلة الأولى فقد

اكتشف علاجها ابن خلدون في منهجه التاريخي في تحقيق الأحداث التي سجلها المؤرخون السابقون عليه — هذه الأحداث وضع لها قواعد وقوانين نستطيع بواسطتها أن نقيس مدى صدق الحقيقة التاريخية، وأهمها قياس الأحداث التاريخية بطبيعة العمران. ومن ثم وجب علينا في دراسة التاريخ أن نتحرى الدقة في اختيار الحقيقة أو في اختيار الحادثة التي نسجلها تسجيلاً علمياً. وهنا أقول إن ابن خلدون لم يكتشف علم الاجتماع من خلال بحثه في التاريخ، وإنما هو اكتشف علم التاريخ من خلال تطبيقه لمنهج علم الاجتماع.

والمشكلة الثانية هي مشكلة التنظير في التاريخ أو تكوين نظريات معينة. في الواقع لهذه المشكلة خطورتها بقدر ما بها من فائدة. أما فائدتها فتتأخر في مدنا بقدرة وطاقة على تفسير الأحداث التاريخية وربطها جرياً وراء تفسير الحضارة الإنسانية العامة. أما خطورتها فهي تقودنا إلى نزعة دوجماتيكية توكيدية نسير بعقضاها موجهين سلفاً بناء على افتراضات سابقة مر بها الإنسان، ولا يصح لنا أن نتنبأ بأن هذه الخبرات نفسها سوف يمر بها الإنسان في وقت ما. فلا بد أن نحتاط لهذا الأمر، وألا نأخذ هذه النظريات التاريخية كحجة مؤكدة فلا بد أن نترك مجالاً من الوقت لحرية الإنسان وفكره.

### محمود زهمي

ما دور دراسات التاريخ القومي في كتابة التاريخ؟ الحقيقة للآن منذ إنشاء المركز لم يتم هذا المركز بالدور الرئيسي الذي أنشئ من أجله. حين دعا الدكتور محمد أنيس إلى إقامة مركز دراسات التاريخ القومي كان يرى أن يكون هذا المركز عبارة عن مركز للأبحاث التي تجري فيه. ولكن إذا كان قد اتضح في الندوات السابقة أن لإعادة كتابة تاريخنا القومي أهمية كبرى، فلاأسف لم يعط مركز دراسات التاريخ القومي الإمكانيات التي تستطيع بها أن يقوم بالدور المنوط به.

### أحمد عزت عبد الكريم

لى عدة ملاحظات على بعض الأقوال التي ذكرت في هذه الندوة، ثم كلمة عامة عن الموضوع. أولاً نحن لا ندعى حين نكتب تاريخنا القومي الحديث أننا نقفل باب

الكتابة في المصور الأخرى من تاريخنا القومي . وإذا كانت العناية قد اتجهت قبل  
أى شيء لتاريخنا الحديث ، فإنما يرجع هذا إلى أسباب أكثرها ما شاع من اعتقاد  
بأن تاريخنا الحديث لم ينل العناية الكافية من حيث صحة الوقائع في بعض الأحيان  
أو قصور الوقائع في أحيان أخرى . فمن المسلم به أن تاريخنا القومي يمتد من عصور  
التاريخ القديمة أو ما قبل التاريخ . ولكن استقر الرأي على أن تتجه العناية أولاً  
إلى العصر الحديث ولا يمنع هذا من أن تشجع جهود المتخصصين في نواحي التاريخ  
الأخرى . ثم هناك ناحية أخرى ، فإننا عندما نكتب تاريخ مصر الحديث لا نقصد  
بماتاً أن نفضل تاريخنا أو نفضل بلدنا عن المجموعة العربية التي هي جزء منها  
ولا عن المجموعة الأفريقية ، ولا المجموعة الإسلامية . ولا المجموعة العالمية التي  
نحن أعضاء فيها . وهناك نقطة أود أن أشير إليها أننا عندما نتكلم عن التاريخ  
الاجتماعي أو تاريخ المجتمع المصري فإننا لا نقصد فقط عادات المصريين وتقاليدهم  
وحياة الأسرة . إلخ . وإنما أقصد كيف تكون المجتمع المصري على مر العصور حتى  
وصل إلى ما هو عليه اليوم . فإذا بدأنا بما هو قائم اليوم ثم عدنا إلى الوراء عصر  
بعد آخر ، ربما اتضحت الصورة أكثر . أعتمد لو استطعنا أن نتتبع الفئات المختلفة  
أو الطبقات المختلفة التي يتكون منها المجتمع المصري وكان هذا أقرب ما يكون إلى  
ما نسميه التاريخ الاجتماعي .

مثلا في أوائل القرن التاسع عشر ، وهو البداية التي اختارها الدكتور الساعاني  
لتاريخ مصر الحديث ، إذا نظرنا إلى المجتمع المصري حينئذ نجد أنه يتكون من عدة  
عناصر : المجتمع الريفي ، مجتمع المدينة . ثم هناك طبقات أو طوائف حاكمة  
وطوائف محكومة . طوائف مستقلة وطوائف محكومة تقوم بأوجه النشاط الاقتصادي  
في البلاد من زراعة أو صناعة أو حرف — فكيف كانت العلاقة بين هذه الطوائف ؟  
ثم كيف كانت علاقاتها بالحكومة ؟ وما هي الحكومة في ذلك الوقت ؟ الفرد في  
ذلك الوقت كان هموره بالانتماء إلى طائفة أخرى أقوى من شعوره بالانتماء إلى الأمة ،  
وكانت علاقته بطائفته أقوى من علاقته بأفراد الطوائف الأخرى . حكمت كل طائفة  
نفسها بنفسها تقريباً ، وكان لهذا أثره في تماسك المجتمع المصري — حدثت تداخلات  
بين هذه الطوائف بعضها وبعض ، وبدأت تدوب الحواجز . . هذه ظاهرة اجتماعية  
هامية جداً كان لها تأثير في النواحي السياسية والاقتصادية وفي نواحي الحكم .

والعوامل التي حركت المجتمع المصري في القرن التاسع عشر هي : التعليم الحديث ثم تأسيس الجيش القومي ، ونمو فكرة الدولة التي أصبح لها مفهوم ووظيفة واختصاصات مختلفة بحيث لا يمكن للفرد أن يولى وجهه أن يتخلص بتاتا من سيطرة الدولة عليه في كل مراحل حياته. فمهمة المؤرخ الاجتماعي في الدراسة الأولى أن يصور لنا العوامل الحديثة في المجتمع وكان لها أثرها في إعادة تشكيل المجتمع المصري في القرن التاسع عشر وحتى الوقت الحاضر .

دكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى